وعندما تشعر الحيوانات به وقد بدأ يتحرك تبدأ فى الصراخ وكأنها تحتفل باستقبال حبيبها مرة أخرى إلى الحياة. وعقب هذه النوبات يكون صوت «جاد» حزيناً غاية الحزن، رقيقاً وعذباً إلى درجة لا تصدق. فيخرج من الزريبة - بعد أن يطعم أصدقاءه الحيوانات - ويسير فى طرقات القرية مطأطئ الرأس وجلبابه مبلول يرتجف من البرد ومن الرغبة فى الغناء، حتى يصل إلى مكان السامر فيبدأ فى الغناء، ويلتف حوله الأهالى وتجلس الشيخة على صخرتها. وينفطر قلب منسى الحزين وهو جالس فى مكانه خلف الباب.

فى هذه الأيام بدأت نوبات الصرع تصيب جاد كثيراً، بدأت تأتيه حتى فى اليوم مرتين وجسده يزداد هزالاً ووجهه الرقيق يصبح كأنه قناع من الشمع. رأته الشيخة وهو يأتى كل ليلة إلى السامر مخترقاً طرقات القرية كالشبح وقدماه لا تقويان على حمله فأرسلت تستدعيه وقالت:

- أنا راح أعالجك فى «الأودة» من الليلة الجاية.